مرايا الوقت

شعر

عبد المنعم العقبى

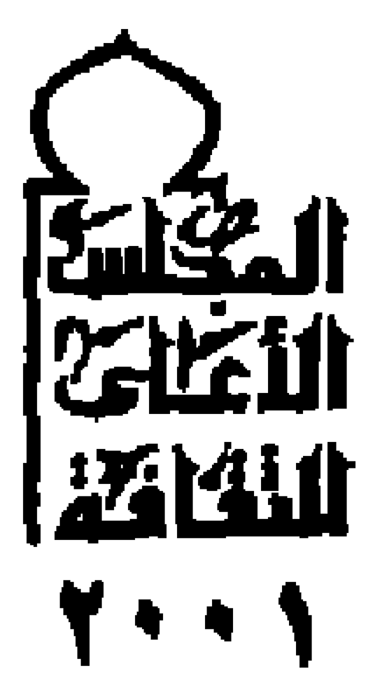


المجلس الأعلى للثقافة

مرايا الوقت

شعر

عبد المنعم العقبى



مرايا الوقت

للوقت إيقاع البنفسجة الأسيرة بالمكان
وللمكان أرائك الموت العتيقهْ .
ولنا تقاويم الحرائق والدَّوابْ .
شجرٌ يسافرُ في الكلامِ
ونسوةٌ يَخْفقْنَ بين الشمسِ
والنُّطف السَعيدهْ ..
أُرْجُوحة الإيقاعِ تمنُحنَا الهدايةَ للسّراب
فهل نعَانقُ روُحنا بين الخطيئة والخطيئهْ ؟
هَتَفَتْ بنَا الأشياءُ كي نطفو معًا
أو تزدهي قاماتُنَا فوق البحيراتِ الطريدهْ .

....

شهوةٌ أخرى
ونكتشـف اللَّواتي ينْحدرنَ من الدوائر والخطوطِ
نُعَلِّقُ الجدرانَ في شغف الحكاياتِ التي للنومِ
نغتفرُ الغوايةَ للقصائد والجنونِ

نُطلُّ من بوق المساء كماءِ غيثٍ لا يُبِينُ
إلَى متى تتذكرُ الأشَياء هيَئتها
ويغفو فوق طالعها الأفولُ ؟
إلى متى نَسْتَافَ هذا الغيم من شمس
مقيدة بماء السرِّ
أو نتعجل الأقدار بالوطن البعيدْ ؟
مواسمُ الحزن تهبط من سماءٍ ليس لَكْ .
وعوالمٌ تَخْبو هناك
فَـأَيّ عرىّ تصطفى يا أيها القمر الممدد فى دمائك ؟
أى نومٍ ليس يشرق فى شرائعك الحكيمهْ .
نحن احتفاؤك بالظهيرهْ .
دونما أرق نكونُ .... ولا نكونُ ،
قيامةُ الأعَضاء والوهجُ الأثيمُ
حدائقُ الأسفلَت واللغةُ الرصيفُ
وما تراخت عنه أَحداقُ المرايا ..
تلك فاتحةُ السقوط
نرومُ من ثدى المواعظ لحظةً
نبقى على شطآنها حتى اليقينْ .
أَرِّخْ حروبك أيها الظل المتوَّج بالرمادِ

فليس غيرك قائداً للصَّحوِ
هل لعنتك أَلْسنةُ المحافل
إذ تزاحمت العقاربُ في شوارعك
المـليئة بالمـلائك واليمامْ .
أنت الوحيد / الواحد المتوحِّد / الفرح الرخامْ .
هبْني صوامعك الرحيمة أيّها الظل الرحيمُ
ولا تَدَعهُمْ يعقدون مقارناتٍ بين تِيهي
وانطفاءات السديم .
أنا حفيدك أيها الظلّ
انتشلني من قواميس الخلائق
في هدوء لا تُسَمِّيه السكينهْ .
لا باب يفتح صدرهَ للطين
عند مداخل النيل المُفَعَّم بالحياه .
آه .... وآه .
جَسدي يُحَمِّلُني غموض البحر
يُشْعِلُني خريفاً من خريفْ .
ويداي مشرعتان صوب الدهرِ
... تنتظران موكبه الوليد
أنا رمادُ الشعر والأرق البَدائيّ العواصف والسكونْ .

روحٌ وريحٌ تصعدان مراحل الجسد المفككِ
فى فضاء لا يُحَاصِرهُ الخلود
كما رأيـــتَ الليــلَ فَسِّرهُ لنا يا حادى الوقت الأثيمِ
وكُنْ رحيمًا بالسنابلِ
كُنْ رحيمًا بالطيورْ .
لا شئ يجمعنا بأرواحنا المُــلْقَاة فى شفةِ الكلامِ
سوى النوافذ
نقتفى - فى غَيمها - أثر الأساطير الوليدة
فى مساحات الخروج ....
أنا دليلكم المُقَيّد فى سماء التِّيهِ
هل تنمون فىّ ؟
جلستُ بين زخارفِ الأفق
الذى لا يستجيب ...
هنا تُحَاصِركُمْ شياطينٌ مَدَلَّلةٌ
وتَنْسخُكمْ تواريخٌ غُثَاءْ .
فى الصباحات احتمالٌ للذى يترقب الزمن العصىّ .
غزالة المـاء استقامتْ فوق طينتنا
ونحن نسقط من جبين القول فى الأرض الجديدة
نستهل المـاءَ بالمـاءِ

الهياكلَ بالهياكلِ .....
فى لُهَاثِ الوقت نُشرقُ مرتين
ندور مثلَ كواكب فقدت مواقَعها
ونَخْلدُ فى انتصافِ الحزن ...
كيف تُرتب الأيامُ أعضاءً
وتقطع من جناح الليل سوءَتَها
وتكبر نخلةٌ للموت
إن قَصَّتْ أظافرِنا التَقاويمُ الصغيرةُ ..
نحن أغصان الدُّخان
نُراقصُ الوقتَ الغيابَ
....
....
الوقت يقضى بيننا وقتَ الفراغِ
فهل نَشُدُّ الصيف بالأرواحِ
والأنواءَ باللُّغةِ القتيلهْ ؟

شروق الرؤى

للصَّباحات
أَطلقتُ روَحَ الغنَاءْ .
وزرعتُ على بَيْرَق الشمس
وَرْدَ الفصولِ ..
وقلتُ :
أنا كوكبٌ لِلصَّباحِ البعيدِ
أنا
كوكبٌ
للصباحِ
سمَـوْتُ على صرخاتِ الفناءْ.

● ● ●

واحدُ المسافات
أنَا .
والتواريخ أطفالُ ذاكــرتِي ..
ليس للشعرِ عمرٌ سِوايَ

ولا للمكان حدودٌ
سوى ما تُسَافر رُوحِي .

هل ترون دَمي
مثقلاً بِالرؤى ، مارجًا
فوق عُشْبِ المواقيتِ
يبدأ بعث القَوافل
من شهقاتِ الفراغْ ؟

هل ترون دمي
آيةُ النَّارِ
والبدء
والمنْتَهَى ؟
طفْليَ البكْر
ابَن لراعيةِ الضأن !
شمسٌ ورَملٌ ونخلٌ وعشقْ .
طفْلَي البْكرُ
قَدِّيسُ شعر
وَتاجٌ على هَامةِ الفخرِ

يذرو هتافَ المــآذن ..
ينأى .. وينأى .. وينأى ..
فَيَـأتلقْ .

طفلىَ البكْرُ
مَن أرَّخَتْهُ الأساطيرُ
يومَ ارتقى ظهرها ،
مورقًا فى هوى حَبْرها
يحتوى سُنبــلاتِ الزَّمَنْ .
صاعداً ..
يَصْعقُ الريحَ فى سَطْوِهِ والأبَدْ .

أُمَّةٌ - أُمَّةٌ
شَدَّ ما كان حُلْمًا بهِيَّ الوَهَجْ .
في عناق مع النور
راح يُؤَسِّسُ قاعدةً للمروءة
حينَ ارْتوى الدفءَ والحبَّ والقَمَرْ .

مُثْقَلٌ والرؤيِ آهتى ..
هكذا أستهلُّ النبأ .

....

....
طَفْلىَ الرُّخُّ
ابنَ لغانية الوقت !
قهرُ وعَرْيٌ وجوعٌ وبؤسْ .
طفْلىَ الرُّخُّ
قدِّيسُ لغو
وَجرح علىً هامة الصَّمت
يذرو غبارَ المدائنِ ..
يخبو .. ويخبو .. ويخبو ..
فَيَحْتَرِقْ .

طفْلىَ الرُّخُّ
مَنْ داهمته الغواياتُ
يومَ ارتقى ظهرها
آفلاً فى ردى كيدِهَا

يحتوى أمسيات العَفَنْ .
تائهًا ..
يحصدُ الحزن فى عُرْسِهِ والغَسَقْ .

غُرْبَةٌ - أُمَّةٌ
شَدَّ ما جاء مسخًا عقيم الوَهَجْ .
فى جدال مع الظلمات
أطلَّ يؤسِّسُ قاعدةً للهزيمة
حين ارتوى الصمتَ والشَجبَ والأَرَقْ .

مثقلٌ والرؤى آهتِى ..

هكذا أمتطى البرق
كى أستعيدَ النهارات
من شرنقات الألَمْ .
أُمْطرُ النارَ / عرسً الكلامِ
على أرخبيل الظلام / الوطنْ .

هاتفًا ..
إنَّ صمتَ الدُّمَى آيتى
إنَّ شهقةَ شرق الرَّدَى آيتى

....

....

هكذا تنتمي الآياتُ لِى

ولكَمْ فى غيوم الحكايا سَفَرْ .

هكذا سوف أعبر قنطرةَ الجرحِ
قبل السقوط بِأوهامكمْ في المكانِ

وأنشدُ وحدى وجه العروبةِ
فى برقةٍ من مرايا الزمانْ .

هكذا سوف أَمسحُ بالبوحِ
وجهَ البكاءْ .

وأقولُ : سموت على صرخات الفناءْ .

وأقولُ : لَكُمْ ما رأيتُ
ولِى ما أشاءْ .

فأنا كوكبٌ للصباحِ البعيدِ

أنا

كوكبٌ

للصباحْ .

زفرة أخرى

(إلى محمود درويش)

ردَّنِي يا (أنا) فى دِمى .
ردنى ..
فالزمان الذى كان لىْ
لم يعد طلقةً من نبيذِ الفصولْ .
والرهان الذى كُنتُهُ ،
والذى قلتَهُ ،
والذى عن غدى راودتْه الرؤُى
لم يعد - ما أقولْ .
من تُرَى زيَّنَ الكلمات بورد الهباء ..
وأوقفَ فى جرحها البدوىَ احتدام النشَيدْ .؟

....

أهو المنتهى فى صهيل الردى ،
أم تُرَى أنَّهُ هاتفُ الانتظار الملولْ ؟

* * *

ردني يا (أنا) في دمي .
ردني ..
فالبلاد التي أهدرتْ
مَطْلعَ الشمسِ من دمعتي –
هَزَّهَا مصرعي في شرود
السكوت الأخيرْ .
واستراحت كما أستريح
من اللغو والاحتراق على خفقة من سلامٍ
وكـــأسٍ للَيل الرّجوع المريرْ .
لست أقدّس من قدسها ..
إذ أضيع وأبدو غريبًا عَلَيّ ،
وإذ أتأمل موتي كل صباح ..
وأدخل كهف الكلام وحيدًا
وقد فارقوني الرفاق بلا دمعةٍ للوداعْ .
ردني يا (أنا) ..
فالزوالُ اتساعْ .
كــلِّ ليــل كِتبتُ على روحه غُرْبَتي –
حرّضوه عليّ بحقّ الرجوعِ ..
فقلتُ : سلامًا
على (غِزة) منْ سلامْ .
كل جرحٍ توجعَ بينَ حروف القصيدة
– خمسينَ صيفًا – شفاهُ التنَاجي بحَقّ الرجوعِ ..

فقلتُ : لِيُصبح حُلْمى -
قبراً علَى عتبات الخيامْ .
كل عُرسِ شهيد أضاءَ هتافً الحروفِ
وأيقظَ نومً (الجرّائد والنشرات) ..
وصَلَّتْ (حماسُ) و (فتحُ) عليهِ الجنازةَ -
يهدأ فِيً بحقّ الرجوعِ ..
فقلتُ : كفاني جنونًا
بأرضٍ أُسَبّجُهَا
فى صحَارَى المغيبْ .
أَغَرِيبٌ علىً نزيفُ الخطى
أم تُرَى أنّ صمت الحصى فى
دروبِ (الجليل) غريبْ ؟
* * *
ردنى يا (أنا) فى دمى .
ردنى ..
فكرةً للتشيؤ كى أستحيل
على شرفات (الخليل) قمرْ .
أمنح الأرض أطفالها الخضرَ
فى صرخةٍ من بريق الحجرْ .
كنت يومًا هنا ..

أستعيد لأُمِّى حبالَ الغسيل
التى مزقتها الرياحْ .
وأزورُ المقابرَ كلّ خميس
لأحصدَ من تمتمات النساًء
تقاسيمَ وجه
الصَّباحْ .
هل (تركتَ الحصان وحيداً) ..
ليَذْرُو الصهيلَ
نَشيداً معادْ ؟
أم تُرَى ..
لم يعد بارقى فارساً تصطفيه
يتامى البلادْ .؟َ
ردنى يا (أنا) فى دمى
ردنى ..
ربما أستطيع الدخولَ
بدون عزاء
وصـمـت تَشَعَّبَ شَعْبًا
على سنبلاتِ الفؤادْ .

حِصارُ المواقيت

تستفيقُ المدينةُ
قبلِ خروجِ النهاراتِ من دَهْشَتِي ..
يتأمَّلُهَا « مطرُ السوءِ »
بعد شروق له هاتفَ
الانتظار المَلُول
فهلْ أَدْرَكتْ للخطيئةِ معنى .؟
الصباح قطارٌ يئنُّ
وقلـــبٌ يباغتهُ سفرٌ
ليجوبَ دروبَ النهارِ ،
لَهُ ظلّ خوفِ عجــوزَ
يَمُدُّ تجاعيدَهُ للنوافذ
كي يستعيدَ البنايات
من سُكْرِهَا ..
ويَفِرُّ إلى صبيةٍ يلعبونَ الحصارِ

الصباح وجوهٌ تَمرُّ
على صخرةِ الانكسارِ ..
يُشدُّ الخُطَى
عالقًا فى غصونِ الرَّدَى
بينما تزدهى جثَّتى بالرؤى
جثتى جنــةٌ فى وعود الأديمِ
لها الآنَ طعم الأساطيرْ .
أستبيحُ بِها شارعًا
من أفول أخيرْ .
والنهارُ تُخومُ الغواية
فى غربة لاَ تؤوبُ ..
رصيفٌ هو الوقتَ
لا شئ غيرى هُنالكَ
أقرأُ موتى فى الزلَزلات
أرى أخَريات الكلام ظلَالاً
تُعانق زيغَ العيونِ ..
أرى رفقتى
النَّارَ والشِّعْرَ ..
يُشْعُلنى الشِّعْرُ

والنَّارُ تُطفِئُنِي كيْ أعودَ ..

....

....

أنا ومحافل هذا الهباء
نصُوغُ طقوسَ المواتِ
على بيرقِ الليلِ ،

عريٌ رجيمٌ يُحيطُ بروحِ المدينةِ ،

شيطانُ قولٍ يَهيبُ بِيَّ

أَنْ تعالى :
لك الشَّمسُ تاجًا
لك الصحو روحًا
لك الدَّهرُ عمراً ..

ومازال يُمْلِي على الوسوساتِ ظنونِي

فينتصف الليــلُ فِيَّ نذيراً

ويطفو على السطحِ

وجهُ الصباحِ العجوزِ

وتكتمل الدائره .

شهادة

(أمل دنقل وأطفال ما قبل النوم)

كان أرْحب عشق
يَشُدُّ طيورَ الإباءِ الأسيرةِ
من قيدهَا ..
ويجوبُ دروبَ النهَار
بقمحِ الطقوسِ وماء الحياة
ليَخلُدَ فى المُنتدَى ريقُهُ .
كَان حُلمَ الجموحِ
وألف عراكٍ طموحٍ
لأىّ مَدًى .
كان شرقُ الرؤى مهْدَهُ
يومَ لاح هجيرُ الزمانِ
الطريدِ بنا وبهِ .

امتطى ظهرَ كلّ رهانٍ
لِيبلُغ سِرَّ الصباحِ
بعيدَ الخُطَى ..
ويُعَانقُ سِرَّ الجذورِ ..

ويرنو إلى سدرة المرتقى وَحْدَهُ .
كان غير أليف
لِكُلِّ الحقول الّتى أَجْدَبتْ
فى غيومِ الكلامِ
وغير أليف
لِصُبْحِ الرُّكّام وليلِ السلامِ ..
....

....
اصطفاهُ سهادُ القُرَى
واصطفاه أنينُ المدى سَيِّدا .

وَحْدَهُ ..
راح يضرب لِلمُرْتَقَى موعِدا ..

غير أَنَّ اللذين استباحوا الخُطَى .

استباحوا
– على غفوة الشرق –
أفراخَـهُ ..
فارتقى في مدى روحهِ ..
....

....
هل رأى في صباح العيونِ وطَنْ .؟
هل رأى في حصارِ الغيومِ قمَرْ .؟
هل رأى ..
هل رأى ..

....
جاء سهمُ الرَّدَى فجأةً
والطيورُ التي أدمنتْ ريقَهُ
اسَّاقطَتْ في دَمِي
ودمي فوق عُرى الأديمِ هُنَا
لَمْ يزلْ شاهِدا .

تميمة اللوتس

لمــاذا تَهُزِّينَ في الليلِ
أغصانَ صمتي .؟
وكل المواقيت في الليل تَاهَت ..
ولا أملك الآن
غير انكسارِ النَّشيدِ ،
وحرقةُ هذا المدى المُسْتَباحِ
وَفَئ المسافاتِ في وردةٍ من دِمائي
وهذا الأُفولَ ..
لمــاذا .؟
وذاكرةُ النهر تأتي بعشقٍ وموت ؟.
وكل المواويل تزهو عليّ ببيرقِ الحُزنِ
تَصْطَفُّ قيداً
وأنت بكل المحافل
بدرٌ بَروحِ التمائم ..

تأتين للحفلِ مثقولةً شاحبهْ .
أفى الموت يلقى المُحبُّ الحبيبَ .؟
وتذرو المسافاتُ رَوْحَيْهمَا .؟
أنا فيك أيوبُ ،
لا يستطيع التداوى من المـدِّ
والجزر
والزلزَلَهْ
أنا فيك غيبٌ إلى أَنْ تقومَ الجراحُ
أنا فيكِ وهمٌ وأُرْجُوحةٌ ماثلهْ .
تنامين عَنِّى
وكل النبوءات قالتْ :
ستبقى الأميرةُ وشمًا على وجنتيكَ
وتبقى ..
وتبقى ..
ترومين فىّ ابْتداء المواسمِ
والقلب يُثْقلهُ أسرُ الأمانِى
فأسأل جرحَ اللَّواتسِ
أسأل أغصانك النافرهْ .

يقولون :
كانتْ .. وكانتْ .. وكانتْ
فأهذى طويلاً
لمـاذا تهزين فى الليل
أغصان صمتى .؟
أما حان بعث الأساطير فيكِ .؟
أنا الآن نَخْلٌ من الحزن
هُزِّى إليك بجذعِ المسافات
يَسَّاقط اليومَ وردُ البدايةْ .
....
وآتيك عند الصباح أميراً
يُبَعْثِرُ فى غفـلة الوقتِ نبضَ السَّوَاقِى ..
فينسابُ صوتُ المُغَنِّى :
(بلادى بلادى بلادى)
....
....
لمـــاذا
تهزين فى الليلِ
أغصانَ صمتى .؟
فتجـــرى دمـــاءُ القصائدْ .

مَرْثِيَّة الوَقتِ الأُفُول

قيلولةٌ أخرى
ويعبرنا حثيثُ النومِ
أو ننسلُّ من فوضى غوايتنا
فيبدؤنا الرحيلُ
وتَعْرُجُ الأيامُ من أفقٍ
إلى أفقٍ ..
تُؤَخِّر ما تقدَّمَ
فى دهاليز السؤالْ .
قيلولةٌ أخرى
وريحٌ لسنا نُدْرِكُهَا
تعربدُ فى فضاء الانتظارِ ..
تحاورُ الأنقاضَ
عن غدنَا المراوغِ ،
أو قوافل أمسنا الغرِّ الرَّحيبِ

وتقتفى رجعًا

لآهات الصَّهيلْ .

قيلولةٌ أخرى

وتنتصبُ الخرائطُ

فى قصائدنا ..

وتدخلُ دهشةَ الأسرارِ

جاثيةً على ظلَّين

فى الوقتِ المحَالْ .

قيلولةٌ أخرى

لينْسَى الوقتُ عاصفةً

على عُرْى المدائنِ ،

أو لينْسَى غُرْبَةً

تُغْرِى سماءَ الجُرحِ

والصَّمت الزَّوالْ .

يا وقت يا أرق المـدى

هل فرَّت الآياتُ من دمنَا

وغادركَ الكلامُ

إلى محافله الجديدة

يا رهان السَّعىِّ

يا أفق النَّخيل المُسْتَبَاحِ

....

....

لنا حضوركَ

عَبرَ أعراس النهارِ

موزعٌ كالانتظار ،

مُؤَرَّخٌ كالروحِ

فى جسد البراحِ ..

لنا حضورك ،

كيف باعدكَ اقترابٌ

من وثاق الخيل والأيام

فوق أديم طالعنا

فعانقت الهتافات السُّدَى .؟

هذى تميمتُكَ

التى أتقنتْ مَوْثقَهَا

بِصَدْرِ الجُرْحِ

تَلْمَعُ فِى هجيرِ العابرينَ ..

وتسألُ الشرقَ الشروقَ

المستحيلِ ..

....

فكيف أوقفت الصباحِ
على حدودكَ أيُّهَا المَنْفىٌّ
- مثلِ العَاشقِين -
وأنتَ مصفودُ الجناحِ .؟
إليك تهبطُ كل نجوى
من شواهدهَا
ويُغْرِيكَ النـداءُ المســـتَبَاحُ
فتنزوى بظلالنا يا وقت .. يا
وَحْىَ الجَراحِ ..
إليك تحملُنَا المواكبُ
والحرائقُ
والوعودُ ..
إليكَ تُهْدِيَنا الدُّروبُ المستكينةُ .
أيُّها الموصَول من دمنَا
إلى دمِنَا

....

فكيف (الأين) تُرْثينا (بماذا) .؟

براءةُ الخرُوج

بهـــواء بـــال
كَنتُ أعَيدُ نقوّشَ الصَّمت
الهارب منّى
ثم أُضَاجعَها لحظاتَ كَى أتشظّى
تحت سماء الحزنِ التاّسع والعشرين
ودون عـزاء
كنتُ أهيمُ عَلى وجهى
بدروبِ لم تتحدّدْ بعدُ
ولم يرعَ التأويل شواهدَهَا .
أتواترُ فى أجيال الضوءِ
بلا أسماء تحجبُ
عُرْى جنونَى .
وكنجمٍ مثقوب بالرُّؤيا
عند هزيع النومِ .

أطاردُ دائرةَ الوقت الوثنيِّ
لكي أتجرَّدَ من تكويني .
قالوا : يا الجاحد بالأعراف تمهَّلْ
واهبطْ في ليلٍ شرقي الطالعِ
علَّك تبصرنا
أو يُمطِرُ سعيُكَ في كأسِ الأسلافِ
أناشيدًا أخرَى .

قالوا ، وتناءوا
في غابات غيومي -
حيثُ الريحُ تواريخٌ وإشَاراتٌ
تتعقَّبُني
لتُبَايعَ آخر مـــاء يحملُ عرش الغَدْ .
سَتقولُ الريحُ :
وراءَك مجدٌ خاصم ذات المَجدْ .
وتقولُ إشاراتٌ :
ستضيق بأفرعك الأبعادُ
وتجهلك الكلماتُ
فتصبح موقوتًا كالألغامِ
فهل من مهلٍ
حين نتوقُ إلَى وطنٍ يتوعَّدنَا .؟

***

الريحُ جوادُ الحلم تواعدُنِى
وبُراقُ العشقِ يواعدنَا
من ذا يتأمل فَى التأويل
رِباطَ ثلاثتنا .؟
هو ذا دمنا
مخطوفٌ فوق سماء الآتى
يبعد عنَّا قدر الجُرح ويعدو
أمامَ رُكَام حضاراتٍ تَعْمَى .
هو ذا
إسراءٌ براقٌ لجهات أُخْرَى
يتخصَّبُ مأخوذًا بالأرحامِ الأولى
ترعاهُ جلالاتُ الكونِ
تُآخيه أكوانُ العشقِ
الحَيْرَى .
هو ذا دمنا
يتهادى أنهاراً نظفًا ..
يتبتَّلُ في أبد الآفات ..
ويخرج من أرق الأيام نبيًا -
لا أدرى هل ينأى بالنجوى
أم يدنو بالآياتِ الكُبْرَى . ؟؟

طُقُـوس

لا الشمس غايتُهُ
ولا يرقى إلى أعتابه
ذهبُ المحافلِ والكلَامْ .
لا الليل صـادفَهُ
وما أَرْخَى عليهِ سُدُولَهُ
أبدًا ،
ولا بدرُ التَّمَامْ .
فِرْدَوسُ أسئلتى الذى
– فى الصحو –
أدخُلُه ..
وأخرِجُ
بعدَ عمْرٍ
كىْ أنامَ .
أرجاؤه أرقى الرَّحيبُ

وليس مِنْ زمن
يَحُدُّ جموحَهُ الأَعْلَى .
لهُ من مَشْرِق النجوى
تباريحٌ تُعَانَدهُ ..
وتَحْمدُ للمشيئة سعيها
ولهُ عزوفُ العابَرينَ
من الرُّكامِ إلى
الحُطَامْ .
وَحْدِى أُرَاودُ خمرَهُ
عن سُكْرِهَا
وأزفُّ خاطرَهُ البعيدَ
إلى كئوسِ غوايتى
أطوى - بلا مهلٍ - غياهبَهُ
كموتِ الجوعِ
فوق موائد الثمر الحرامْ .
وَحْدِى أُصَارحهُ :
بأنَّ الشرقَ غربٌ
والوراءَ هو الأمامْ .

وَحْدِى أُعانِقُ حيرَتِى
فى نَــأيـهِ ..
وأقولُ :
ها فرْدَوسُ أسئلتى الذى
دومًا سأدخلهُ
وأخرجُ كىْ أنَامْ .

عرس النشيد

ناديتنى ..
بالصمت فى نظـراتك الحَيْرى
وبالآيات تحفظنى تواريخًا
وباسمك ساطعٍ
كدوىٍّ سَنبلةٍ بشرق النورِ ..
....
أغرانى اغترابُك
فى قراءات النهار
وفى عيونٍ الراحلين إلى هواكَ
وفى الدعاءِ بشهقةِ الميلادِ ..
....
أغرانى انتمائى
أن أجئ مع النَّدَى .

***

وَلَّيت وجهى ساعةَ الطَّلقِ الرَّعيدِ
إلى سمائك ..
يا نداءً هالهُ شجرُ الضَّراعة ،
والدَّمُ العفوىُّ كالنيلِ المرافقِ
والبدايات الرحيبة .
تأسر العُشَّاقَ فىَّ ..

....

فهل أسير إلى اكتمالى
واكتمالكِ فى حنينى .؟

***

قلبى
حضورك فى الممالك
والممالكُ
زفرةٌ تسعى وعمرٌ يُستَعاد ..
عليك ترديد الهتاف
فليس فى الإمكان غَيركِ
هاتفًا ..
يدعو إلى عروس النشيدِ ..

....

أنا انتظارُكَ
واغترابُكَ
اقترابُكَ
بين وقتَين امتثلتُ ..
وساقنى دمعى إلى عشقى
فأسدلت الشفاءَ على الجراح ..
مشيتُ ..
والخطوات إيقاع الصدور
فجلجلتْ خلفى سلالاتُ المضاجع
توقظ الإنسانَ فى حجر التوجُّعِ
تزرع الأيامَ فى أرضِ الوعودِ ..
....
أنــا
بهاءُ الرعدة الكبرى وتقويم الرّهانِ
وليس للمــاَء
انحدارى فى العروق
وليس للقمر
ابتهالى فى أناشيد الحصاد ..
أنا احتدامُ الطميِّ واللغة الرياح ،

خلعتُ عن جسدى تواريخَ الجراحِ ،
وجئتُ فى كفِّىَّ حفنةُ حنطةٍ
من أول الفردوسِ ..
أفتتحُ القُرَى ،
وقد استبَدَّ على مرابعها قطيعُ الموتِ
وأغرقَ الأشياءَ
تأويلٌ رمادىُّ العيونِ ..
أجىءُ مثل الحلم فى وَهج اليقينِ ..
بلا دموعٍ أعبر الزمن الوليد
إلى شواهده الأخيرة
حيث لا أرق لأشلائى ،
يُطِلُّ على تباريح المكانِ ..

....

هنــا
تعانقنى مصابيحُ الخلود
ويهطل الفرحُ الصباحىُّ -
امتثالاً للحياة ..
على شروق سَرمدىِّ القلب أُبْصِرُنى
أُحدِّقُ فى تَخوم النصرِ

هل أطلقتُ للأسماءِ وجهَ كنانتى .؟
وهل استمالتْ نفسىَ الخضراءُ
خارطةَ الجهاتِ فزاوجتْ شرقًا بغرب
أم تناءتْ فى بيارقها أساطيرُ الأُمَمْ .؟
....
الآن تحملنى سماءُ الشرقِ
فى روحٍ ودَمْ .
أطفو علَى أرجاء فجرِ صاخب التَّرتيلِ
مأخوذًا بناصيتى لأشواق النوافذ
كيف صار الموت قنديلاً يُضيءُ الأمنياتَ .؟!!
وكيف جاءَ الفتحُ محمولاً على كَفِّ الحنينِ .؟!!
....
هُنَا
رمال البوح ترقُبُنى وأرْقُبُهَا -
نزيفًا من شروق
أو شروقًا من نزيفْ .
(مصر التى في خاطرى) ..
تصحو شوارعُهَا على حلم الصَّبَايا
والحقولِ ..

مشيتُ
والخطوات إيقاع الصُّدُورِ
فَصَوَّحتْ رَيحُ الجنوبِ
لتوقظ الإنسانَ فى حجرِ التوجُّعِ ..
أنت أنت .؟ !!..
أم النَهار انداح من ثأر القلوبِ . ؟!!
كأننا أشواقنا فى شمس وجهكَ
ياسماءَ المُبْتَغَى
ومواكبًا تمضى إلى أفق الصَّهيلِ
لقد أتيتُك والمدى عرسٌ
يضيءُ المستحيلَ ..
لمن إذنْ
- بينى وبين الوقت -
يشتعل الرحيل ..؟
ألغيرِ وَجْهك
أصعقُ الأحزَان باللغة الوليدةِ
أو أُريقُ دمائى الولْهَى -
صحاف من هسيس القلب
ترعى فىَّ هدوءِ طيرها الأزلِىْ .؟

هذى حدود العشق ،
ترسُمُنى ، وأرسُمُهَا على وجهِ البراحِ -
سلالةً عَطْشَى إلى أنفاسها
تمتدُّ من صحوى إلى وهج المكان ،
ونسوةً يحملن سرَّ النهرِ فى أرحامهنَّ
ويسترحن إلى ملَائكة الظلالِ ..

....

على بساط الوصفِ
تطفو جثَّتِى حُلمًا
هُلاَمِىّ المُرُوجِ
وقامتى وطنٌ يزفُّ الرُّوحَ
فى صحو الحقول وفى الطفولةِ
والصَّباحِ المدرسِىِّ ..

....

مشيتُ
والخطوات إيقاع الصُّدُورِ
أَذُوبُ فى صَخب الشوارعِ
سيداً للوقت والعشقِ البرئْ .
فأنا البعيد المُغْتَدِى .

يومًا أجئْ .
والأرضُ عاشقةٌ معلقةٌ بأشلائى
يعاودُهَا هديرُ الصَّحوِ
تَمْرُقُ بين أنفاسِى
كـامـــرأةٍ ..
تُهَيىءُ فى سريرِ الصَّمتِ
أعضاءَ الورَودّ .

بريق الصهيل

أمى تجادلنى بأسماءِ البلادِ
وبالطفولةْ .
تروى على أعراس جرحى دائمًا
ظل الحكايات الطريدةْ .
وكيف غيّرتْ المواسمُ
من بكاء طازج ..
حتى استحال الصمتُ آفاقًا
لقافلة الرجاءْ .
تستقبلَ الأرواح فى جسدى
وتحتضن اغترابى واقترافات النهار ..
....
تقول :
أنت القادمُ الوردىُّ
أنت مواكب الفوضى ،

وآخرتى على نهر العناق المستحيل ..
تسافر الطرقُ البعيدةُ فى خُطاكَ ..
فباعدْ الأيام عن أشيائك الأولى
وعانَقْ فىِ غصون الليل
ما تركت نهارات الرحيلْ .

....

هُنَــا
ستهبط من أغانيك الهدايةُ :
سنبلات باسقاتٍ من حنينى
سوف تَرقُبُهَا ،
ستطلع فى هدوءٍ بين عشب الربّ ..
تقطفها ..
وتخرج فى سباقات الصهيل ..
أَرُدُّ عنك الغيمَ فى شجر الصباح
وحينما ترنو
من الزمنِ المُحَنَّطِ
فى البيوتِ ..
أهزُّ أُحْجيتى ،
التى علقتَها شهبًا وياقوتًا

على أغصان حيرتك
الظليلةْ .

***

أمي تجادلني بأسماء البلاد
وليس لي لغة ..
فأنبئها بأعراس المواقيت القتيلةْ .
أُصْغي لآهتهَا ..
وأحَصدُ مِنَ هتافات الرَّماد شوارعًا
وأَتِيْهُ في وطنٍ يبادلُهَا الصَّهيلا .
صَمتِي تواريخٌ تواَريها القبائلُ
في نهارٍ خافقٍ ،
والصمتُ أجملُ راحتَين
تشكلان الموتَ منِ طينِ الحقيقةْ .
تستقبلان الشمسَ من أفَقِ أخيرٍ ..
تضفران الجرح في عنق الرِّياحِ ..

....

هنــا
يا أمّ - موائدُ الصيد المهذَّبِ ،
والرفاقُ إلى جوارِهم الوهمَ واللغة السحيقةْ .
يتبادلون الصمت فَي صحف الوجوه ..

يناوئون ..
ويحتفون ،
فأَحتفى بالوطء فى مدنِ الكلامِ
وحين يغمرنا خريف الرَّجعِ ..
نسقط فى هجاءات الحقولِ
فنحتوى ذات الحروف ..
لنا براحاتُ الجراحِ ،
لنا قصائدُنَا -
كآخرة تفضُّ الانتظار ..
لنا الصباحُ : تميمةُ المقهى
وهم يستأجرون الوقتَ
- من أفق إلى أفق -
على شرفات بابل ،
يعقدون يد الصباحِ ..
....
هنا يا أمّ ،
فكيف جاء الموت فى سبأ
وبدَّلَ فى يديكِ الانتظار . ؟..
هنا نداؤك

يسأل الأغراب عن دَمِنَا
وعن مقهى جنونى ،
والرفاق ..
هنا نداؤك
- فى حنين يشبه الرؤيا -
يعاوده السؤالُ ..
....
....
فهل أتيهُ
على ممالك
خطوتى .؟
هل أستوى للوقت
أم أبقى
على أحضانه

دهشة الصمت

مُرُّوا على صمتى خفافًا ..
أصدقائى الطيبينْ .
مُرُّوا خفافًا ، واذْكُروا ..
أَنَّا تساءلنا صغاراً
عن مدائن فرحة تصبو لرؤيانا ..
وعن أوطان عشق فى الغناء ،
عن الرجولة كيفَ تَحْيانا ؟..

....

تساءلنا صغاراً
عن أساطير القبائل
كيف تخطرُ فى شوارعنا
ونلقاها وتلقانا
نشيداً سَرْمَدِىَّ الانتماء ؟..
عن الحقول المستريحةِ فى العيونِ

وعن عصافير تُرفْرفُ في حنايانا
ويرعاها الزَّمانُ ..

....

تذكَّرُوا أنَّا تناءينا
لنكْبُرَ في الهباء
وأنَّنا عُدْنَا لِنسْكُنَ في عيون الأَسئلهْ .

* * * *

مُرُّوا على صمتي خفافًا ..
أصدقائي الطيبينْ .
مُرُّوا خفافًا
واعبروا أصداء دهشتنا
إلي حُلم تَبَتَّل في ثنيَّات الجنونْ .
غِيبُوا دُهوراً في بريق الاَنتظار
وفي تباريح الظنونْ .
قُولوا : بأَنَّا لم نغبْ حتى نغيبَ ..
- فلم نَزَلْ كهديرِ قــافـلة
عــلى إعـفــاءة المـــدنَ الضَّـبَابْ .
- لنا صهيل يحمَل البشرى
على كفين من أرق وصدر من جراح .

قولوا : بأَنَّا لم نَغبْ حتى نغيبَ ..
فهذه الآفاق ثورتَنا المتَاحةُ ، نَقْتَفيهَا ..
حينَ تَسكُنُنَا قواميسُ الشقاءِ
ونشتكي أيَّامَنا العطشى
لآهاتِ التَّوحُّد في الغواية
وَالتَّشَرُّدِ في الصباحْ .

***

مُرُّوا على صمتي خفافًا ،
أصدقائي الطيبينْ .
مُرُّوا خفافًا ،
واتركوني ...
هائمًا في لافتات الكبرياءِ
أموت في نزق
وأُبْعَثُ في حنَينْ .
لا توقظوا في خاطري نجوى البلاد
فأَسْتحيل على حدود الليل موالاً حزينْ .
لا توقظوا عينيَّ بالأرَق المموَّه
والرّهان المسْتحَيلْ .
لا تقرأوني آهةً

فى غفلة الصحف البليدة ،
أو نداءً عاجلاً فى صفحةَ الموت المُبَاحِ
فربمَا أصحو على مهل
وأرْعَى فى دمى إشراقةَ الألم النبيلْ .
مُرُّوا على صمتى خفافًا ..
أصدقائى الطيبينْ .
مروا خفافًا ؛
كى أرى ريحًا تُهَادنُ نخلةً
أو أرى شمسًا تُصَلِّى
فى رحاب العاشقين وتأسر
الفرح البعيدْ .
لا تُخْجِلُوا صمتى فتهرب من شواطئهِ
عصافيرُ الوعودْ .
(ياليت موتى) ..
هل أرى من يحدو تَحت الغيم
أشجارَ الوعيدْ ؟
أمْ أننى أهذِى ، كزرقاء اليمامة
فى جمـوع الناظرَينْ ؟
لُعِنَتْ هُذَاياتِى وتبًّا للرؤى

إن لم أقفْ وحدى
على بوابة الفرح الحزينْ .
مُرّوا على صمتى خفافًا ..
ربَّما تطوى العيونُ خرائط المنفى
وتَحْملُنى هتافاتُ المساءِ
فلا أعودَ .

القُرَى

كانتْ تهُزُّ الأمنيات

على خُطَاى ..

وكنتُ أَرْقُبُهَا على الأشياءِ

نهرَ طفولةٍ ،

تنأى قصائدهُ بأغنيتِى

وتبتدئُ الفصوَل

ويومَ ..

أزهر فِي يديها الانتظارُ –

وطَـأتُ أعراسَ الصخورِ ..

وعدتُ من شوقِى

لأُرضعَهَا عناقيدَ البهاءِ

....

....

هى التى قالتْ :

توحّدْ
وانشطارات الصَّباحِ
على وجوهِ العابرينَ
هى التى قالتْ ،
فكيف أعودُ من عُمْر
تُبَدِّدُهُ الحقولُ
وكيف أُبدِّلُ بالأيامِ كى أنأى بهاتِفها
وأدنو من
عصافيرِ الحصاد .؟
....
على شواطئها تأَرَّخَتْ
البراءةُ
بالصباحِ المدرسىِّ
وكنت مَأخوذًا
بترتيلِ القوافلِ
للنهارِ
قُبَيْلَ صحو ،
يشتهقيه الأرتحالُ ،
وشهقةِ ملء احتفاءِ الضوءِ
....
....

ها سفرٌ لبارقة الخروجِ
وها خريرُ الوقتِ
يستلقي بآنيتي
وترشفهُ الدُّروبُ

....

هُنَا ضممتُ الومضةَ الأولى
وغنيتُ احتراقى فى البداياتِ
... اقتربتُ على شواهدها
من اللغةِ الوليدةِ
فى سماءِ الانتظارِ

....

هُنَا يطوفُ العشقُ بالنَّجْوَى
ويستلقى على شجرِ المسافةِ

....

هل أنا الصيف
الذى يُغْرِى شواطئها
ويحرِقهُ النداءُ ؟
لها تفجَّرَ

مولدُ الموجِ البعيدِ

وعانقَ الفوضى

هديرُ الانتماءِ

لها تكلُّسَ

مولدُ الطَّميّ الرَّحيمِ

على جذورِى

فانتفضتُ على صباحٍ

يعبرُ الرؤيا ..

وطالعتُ التخومَ

على وجوهِ العابرينَ ..

....

هل الغناء موائد الموتى ؟

أم الحكم الطريدةِ

فى دمَاىَ ؟

أنا الذَى أوحيتُ للأوراق :

أن تصحو على وهجِ المسافةِ

واصطفيت على ترانيم

السواقى فرحتين -

هما حصادُ الرُّوحِ
فى صحف العراءِ ..
وقلتُ :
ما للبحـــــر نافـــذةٌ كعاشقَتى
وما للأُفْقِ هاماتُ الغناءِ

....

أنا الذى أبحرتُ
من دَمِهَا إلى دَمِهَا
ومن غَدها إلى غَدها ،
فهِى التى قالتْ :
توحَّدْ فى وجوه العابرين ..
هى التى قالتْ :

....

....

وعندما
وطأَ الزمانُ مسافتين
وحين ضاجعها الهوَى ..
صارت مدينهْ .

الرهان

تكون القصائدُ
- أو لا تكونْ -
أساطيرَ راهبة فى الأغانى
نرى الوقت فَى راحتيها
بروجًا تمورُ ..
لتنقُشَ أحزاننا
فَى صخورِ السماءِ ..
ونزهو -
إذا اغترب العمرُ نافلةً للبكاءِ
نُعيدُ اشتعالَ المرايا -
وَطنًا لأسئلة الموت ..
نُحْصِى الصَباحاتَ
جيلاً فجيلاً ..
فلا نسألُ الصمتَ عنَّا -

إذا ما استراحتْ قلوبُ الحكايا
ولا نكتم القولَ فينا –
إذا أهدر الليل لحن الظنونْ .

* * *

تكون القصائدُ
– أو لا تكونْ –
بُرَاقًا (لمرثية العمرِ) يحملنا
حين يهدر طوفان الحداثات
فى أمسيات الرّهانِ ..
فنرقى
(لبستانِ عائشة) البكْرِ
حتى نصير قطوفًا لفجرِ الهجاءاتِ
نُصْغِى لدهشتنا
فى هجيرِ الرُّؤى ..
ثم نعدو –
إذا ما (رباعية الفَرْح)
دَقَّتْ طبولَ الرِّياحِ انتشاءً
وقالتْ : تعالوا .
هُنَا مرفأ البوحِ ،

إنى (أقولُ لكمْ) غير ما كانَ
عن (مقتلِ القمرِ) المستباحِ الوصايا
وعن صحف الوهمِ
أو مهرجان
انْفجار (الأنا) فى سماءِ الفنون .

* * *

تكون القصائدُ
- أو لا تكونْ -
سماءَ غد ، يقطُرُ البرقُ منهُ
على غيمَ ليلٍ دَعِيٍّ
و (شكوى فصيحٍ) -
تُهادنُها شهوةُ الاحتراقِ
فنذرَو الخُطَى
فوق رملِ التراتيلِ
كى نطلقَ الشمسَ معزوفةً
من هديرِ الحياة ..
ويجرى إلى الرُّوحِ نيلُ الأمانِى
ليذكُرَ سالفَ هذى البلادِ
ويزهو -

نشيداً لذاكرةِ الانتظارِ
يقولُ :
أنا أوَّل العشق ،
بوَحي هديرُ البَداياتِ ،
كيفَ احتواني
ولا قلب لِي -
غير صمتَ الجياعِ الحرونْ .
تكون القصَائدُ
- أو لا تكونْ -
حقولاً لها ما لنا من غيابٍ
تُحدِّقُ في سنبلات الأمانيّ
وتُصغي لأشجارِ حُلْمٍ قديمٍ ..
ولا تلبَس الجمرَ -
إلاَّ وعوداً
ببارجة في براح الهجير ،
ولا تلبَّس الظــلَّ -
إلاَّ احتفاءً
بصمت يروم انتفاضَ الجراحِ ،
حقولاً

تُساوِمُ بالقولِ
جوعَ العراءِ
وتدنو بقمح التداوى -
إذا فجَّرَ النأىُ فينا الحنينَ ..
تُذَوِّبُ صيفَ المواويلِ فينا
فندنو ابتهالاً
وننأى انتصاراً ..
لِيَحْصُدُنَا ابتهال الجنونْ .

* * *

تكون القصائدُ
- أو لا تكونْ -
بحاراً لنعبُرَها
حين يَعبرُنَا سندبادُ الصَّباحِ
ونهجرُ صورتنا فى الزوايا -
إلى جنة فى جحيم الخروجِ ..
نُرتِّبُ أوّقاتنا فى مداها
ونغسل أرواحنا بالشروقِ ،
بحاراً
لأسطورة البَدْءِ تُهْدِى -

مواقيتَ أعراسنا
فوق موجِ الغوايةِ والمستحيلِ ..
نبعثرها كالنجومَ السهارى -
فلا تحتوينا دروب التداعى
وذكــرى رمـاد تمـادى
وأحصى الليالىَّ كئوسًا ونجوى
ومنهُ ارتشفنا غمامَ العيونْ ،

* * *

تكون القصائدُ
- أو لا تكونْ -
فضاءً لأنشودة
الموت فى العشقِ ..
يستمهل العمر
كى تطلق الرُّوحُ أعراسها
فى صباحٍ
تسأل عنْ غادة النهر :
- كيف استراحّتْ
من العشقِ ؟
- كيف استحالتْ

إلى الصَّمت ؟

- كيف اعتلاها غبارُ المواقَيتِ

فى ليلةِ العُرْسِ ..

فانسابَ ليلُ المَراثِى -

لـماذا ؟

وكيف ؟

وأين ؟

....

....

سأستمهلُ البوحَ

عمراً

حتى تكونْ .

الفهـرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١١٧٣٢ / ٢٠٠١

يُشغلنى خريفًا من خريفٍ
ويداى مُشرعتان صوب الدهر
تنتظران موكبه الوليد
أنا رماد الشعر والأرق البدائى العواصف والسكون
روحٌ وريحٌ تصعدان مراحل الجسد المفكك
فى فضاءٍ لا يحاصره الخلود
كما رأيت الليل فسِّرهُ لنا يا حادى الوقت الأثيم
وكن رحيمًا بالسنابل
كن رحيمًا بالطيور

